وهو قاعد على صدرى إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه ، فسقط عنى ، فقمت اليه وأخذت السكين من يده فذبحته بها ، فما هو الا أن تكون قلوبكم عند مليككم حتى تروا من عجائب لطفه مالا تروا من الآباء والامهات *

﴿ الباب الثامن والعشرون ﴾

(فى ذكر الصراط ودرجات الناس فى المرور عليه)

أما الصراط فهو جسر منصوب على متن جهنم ، وهو أحد من السيف وأدق من الشعرة ، ثبتنا الله وإياكم على المرور عليه . وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك ، إذهبوا الى ابنى ابراهيم خليل الله قال : فيأتون ابراهيم فيقول ابراهيم عليه السلام : لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلا من وراء وراء ، إعمدوا الى موسى كلمه الله تكليما ، فيأتون موسى فيقول : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا الى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا الى محمد قال : فيأتون محمدا ﷺ ويؤذن له ويرسل الأمانة والرحم فيقومان جنبى الصراط يمينا وشمالا ، فيمر أولكم كالبرق يمر ويرجع فى طرفة عين ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير وشد الرحال (١) تجرى بهم أعمالهم ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول : رب سلم رب سلم حتى تعجز أعمال العباد وحتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا ، قال وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوش فى النار » والذى نفس أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا * وعن أبى سعيد الخدرى

---

(١) فى الاصل « الرجال » وهو خطأ

رضى الله عنه عن النبي ﷺ وذكر الصراط ومرور الناس عليه قال : « فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش فى النار (١) جهنم » رواه مسلم * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ وذكر حديث الشفاعة: « ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ـ هل رأيتم شوك السعدان؟ ـ ثم قال: وإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تخطف الناس باعمالهم » الحديث *

﴿ فصل ﴾

قد سمعت رحمك الله فانظر الى هذه الطريق الحرج ، والمسلك الشاق ، والقنطرة المضطربة ، والعقبة الكؤود التى لا تثبت عليها الأقدام ، ولا تجوزها الأوهام ، ولا يثبت عليه الا من ثبته الله بالقول الثابت ، وثبت قدماه يوم تزل الأقدام ، ولعل من عنده تساهل وعدم توفيق يسمع بالصراط فيظن أن طريقه يشبه طرق الدنيا التى هى صعبة المسلك ، وعرة ذات صعود ونزول ، هيهات وما علم ، والله إنه أحد من السيف ، وأدق من الشعرة ، وعلى يمينه وشماله كلاليب وخطاطيف ، فاذا كلفت المرور عليه وهو بهذه المثابة ، وأعظم من ذلك أن جهنم تحتك ، وقد أرعب قلبك من هول منظرها ، وملأت أذنيك زفيرها ، فهل تستطيع المرور أو النهوض أو الزحف ، فانه إذا أضطرب بك الصراط ، والتهب السعير من تحتك التهابا ، ولم تجد الى النجاة سبيلا ، ولا الى الخلاص مقيلا ، فلا ينفعك فى تلك الحال الا سعى صالح مشكور ، أو توبة نصوحا من ذنب مغفور ، فتخير الآن أى الاعمال أنجى لك ؟ وأى الطرق معينة لك على سعيك لما ينفعك ؟ وقد

---

(١) كذا فى الاصل ، ولعله فى نار جهنم .

روى ابن أبي الدنيا باسناده عن وهب بن منبه قال : وجدت في زبور داود عليه السلام : ياداود هل تدرى من أسرع الناس ممرا على الصراط ؟ الذين يرضون بحكمى والسنتهم رطبة من ذكرى *

﴿ الباب التاسع والعشرون ﴾

(فى ذكر سعة رحمة الله ومن مات على التوحيد)

قال الله تعالى : (ورحمتى وسعت كل شئ) وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال : « يجئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى » وقد تقدم فى حديث أبى هريرة « لكل أحد منزل فى الجنة ومنزل فى النار فالمؤمن اذا دخل الجنة خلفه الكافر فى النار لاستحقاقه ذلك بكفره » كما ورد فى الصحيح « هذا فكاكك من النار » وهذه بشارة عظيمة للمسلمين أجمعين . حتى قال الشافعى وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما : هذا الحديث أرجا حديث للمسلمين لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم . وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد مرفوعا . الى أن قال فيه : « فيقال أخرجوا من عرفتم » — يعنى من النار — فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، وقد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه . فيقولون : ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به ؟ فيقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً . الى أن قال : ثم يقال : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، وكان أبو سعيد الخدرى يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث ، فاقرؤا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) الآية . فيقول الله : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها